المحاضرة الخامسة: نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام

جاءت هذه النظرية كرد فعل على النظرية الفردية التي ركـــزت عليهـــا نظريـــة الاستخدامات والاشباعات، حيث Ball Rokeach and Melven Defleur عام 1986 بعدد من التفسيرات البديلة لاستخدام وسائل الاتصال، فقد طرحا أهمية المنظـــور الاجتماعي في النظر الى العلاقة بين الوسيلة الاتصالية والجمهور المستخدم، ومن هنا بدأ النظر الى إطار أوسع من العلاقات وهي المجتمع(المجتمع والوسيلة والجمهور) ومن هنا ظهرت نظرية نظام الاعتماد المتبادل على وسائل الإعلام، وهـــي ذات مرجـــع نفســـي اجتماعي وتنتمي لنظريات التأثير المعتدل لوسائل الإعلام.

ويقصد بالاعتماد مدى تصنيف أفراد الجمهـــور لوســـائل الإعلام وبقيـــة مصـــادر المعلومات على أنها مصادر رئيسية لاستقاء المعلومات عن القضايا والشـــؤون العامـــة، ويعني الاعتماد أيضا العلاقة التي توجد عندما تكون قدرة الأفراد على تحقيق أهدافهم في الحصول على المعلومات اعتمادا على مصادر المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام، كما أن العلاقة التي يتم فيها إشباع الحاجات او تحقيق الأهداف.

ونظرية الاعتماد على وسائل الإعلام هي من أهم النظريات التي اهتمت بدراســـة عملية التأثير، وهي نظرية متكاملة حيث تتضمن عناصر ومفاهيم من علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي.

أولا: أبعاد الاعتماد على وسائل الإعلام

أن الفهم والتوجيه والتسلية هي الأبعاد الثلاثة الرئيسية للدافع الإنساني الذي يشكل الأساس للسلوك الإعلامي للفرد، ومن هذه الأهداف الثلاثة استنتج المنظرون أبعاد اعتماد الأفـــراد على وسائل الإعلام التي تحددت خلال ثلاث علاقات هي الدور والاتجاه والفهم، ولكل من

هذه العلاقات أبعاد اجتماعية وشخصية، وهي ستة أنواع من أبعاد اعتماد الفرد على وسائل الإعلام، وهذه الأبعاد هي:

1- **الفهم الذاتي:** يتضمن تقييم الذات، الاعتقادات، القيم، والاتجاهات، والتعرض لمصادر نظام الوسيلة لتحقيق أهداف الشخص لذاته، ويشير الى علاقات وسائل الإعلام التي توسع من قدرات الفرد، أو تحافظ عليها، لتفسير معتقداته وسلوكاتهم، ومفاهيمهم الذاتية، وشخصياتهم.

2- **الفهم الاجتماعي:** تمثل المعرفة التي يمتلكها الفرد لكيفية عمل المجتمع ومؤسساته ودور الفرد في المجتمع والمؤسسات ويوظف لتحقيق أهداف فهم البيئة الاجتماعية واستخداماتها لفهم طبيعة الآخرين، وثقافاتهم، والأحداث المحيطة فتجعل الفرد في حالة ارتباط بما يحدث داخل المجتمع، وكذلك الأحداث العالمية.

3- **توجيه الفعل:** يهدف للتصرف بطريقة تتلائم مع التوقعات والأنماط الاجتماعية في موقف محدد، ويعني استخدام وسائل الإعلام في صنع القرارات السلوكية، وتوجيه العمل، والتصرف بشكل يتمسى مع أخلاقيات المجتمع.

4- **توجيه التفاعل:** يهدف الى تنمية مهارات مناسبة ومؤثرة فردية واجتماعية والحصول على إرشادات حول كيفية التفاعل مع الأفراد والآخرين، الذين يتصل بهم الفرد بشكل مباشر كالأسرة والأصدقاء والزملاء، وكذلك نحو الأفراد غير المعروفين كالجماعات الخارجية ذوي الثقافات الأخرى.

5- **التسلية المنعزلة أو الدور المنعزل:** تهدف الى التسلية والهروب من الذات ومن المشاكل الضاغطة في الحياة، ويتضمن استهلاك منتجات الوسيلة لقيمة ترفيهية، لتحقيق قيمة المتعة، فاستخدام الفرد لوسائل الإعلام بطريقة فردية، تساعده على الاسترخاء، كما تسهم في تخليصه من متاعب يوم شاق.

6- **التسلية الاجتماعية:** تهدف للتسلية والهروب من خلال صحبة الآخرين، وتتضمن استخدام الوسيلة لممارسة أهداف تتصل بالانسجام الاجتماعي، وتتضمن التسلية التي

ترتكز عليها وسائل الإعلام، ويشارك فيها الفرد مع الآخرين، مثل الصحبة الاجتماعيـــة كوسيلة للهروب من مشكلات الحياة اليومية.

ثالثا: الأسس والفروض التي تقوم عليها النظرية:

أ- **تقويم نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام على ركيزتين أساسيتين، وهما:**

1- **الأهداف:** حتى يحقق الأفراد والمنظمات المختلفة أهدافهم الشخصية والاجتماعيـــة، يجب عليهم أن يعتمدوا على موارد يسيطر عليها أشـــخاص او جماعـــات أو منظمـــات أخرى، والعكس صحيح.

2- **المصـــادر:** يسعى الأفراد والمنظمات الى المصادر المختلفة التي تحقق أهـــدافهم، وتعد وسائل الإعلام نظام معلومات يسعى الأفراد والمنظمات إليه لبلوغ أهدافهم، وتتحكم وسائل الإعلام في ثلاثة أنواع من مصادر المعلومات:

- **المصـــــدر الاول:** جمع المعلومات، ويقوم المندوب الصحفي بجمع المعلومات التي يحتاج الى معرفتها من مصادرها او مكان حدوثها ويزود المؤسسة بها، ومن ثـــم يقـــوم كاتب السيناريو بتقديم معلومات عن أحداث حقيقية أو خيالية توفر لنا اللعب أو المرح أو الاسترخاء.
- **المصـــدر الثـــاني: تنســـيق المعلومـــات:** عند وصول المعلومات الى المؤسسة يتم فرزها، خاصة إذا كانت أكثر من مصدر وتنقح المعلومات بالزيادة أو النقصان في سبيل إخراجها بصورة مناسبة على شكل قصة صحفية أو برنامج إذاعي او فيلم سينمائي.
- **المصدر الثالث: يتمثل بنشر المعلومات والقدرة على توزيعها الى جمهور غير محدد، وهو السبب الرئيسي والمهم في عملية جمع المعلومات.**

ب- **فروض النظرية:**

الفرضـــية الأساســـية للنظريـــة: أن نموذج الاعتماد المتبادل لوسائل الإعلام يربط وسائل الإعلام الجماهيرية بالنظام الاجتماعي، حيث أن تأثير وسائل الاتصال يتوقف على طبيعة

التفاعل الثلاثي ما بين النظام الاجتماعي والنظام الإعلامي والجمهور، ومن خلال فهم وتفسير طبيعة هذه العلاقة الثلاثية يمكن فهم فكرة وأسباب وتأثيرات اعتماد الجمهور على وسائل الاتصال الجماهيرية.

وعليه يمكن القول أن مدخل الاعتماد هو احد المداخل التكاملية التي تربط بين العوامل النفسية والاجتماعية في إطار مرجعي وثقافي يفرض نفسه على طبيعة وسائل الاتصال وطبيعة تأثيرها على الجمهور، وقد أفادت دراسات الاعتماد في تركيز الضوء على الإطار الاجتماعي الثقافي الذي يتحكم في تأثير الوسيلة.

وتقوم نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام على مجموعة من فروض رئيسية يمكن إجمالها فيما يلي:

1- تزداد إمكانية تحقيق الرسائل الإعلامية للتأثيرات المعرفية والعاطفية والسلوكية عندما توفر النظم الإعلامية خدمات معلوماتية متميزة وأساسية، ويزداد التأثير بشكل كبير في حالة عدم استقرار المجتمع بسبب الصراع والتغير.
2- كلما كان عدد ودرجة مركزية خدمات تقديم المعلومات التي تقدمها وسيلة إعلامية معينة كبيرة كان الاعتماد على تلك الوسيلة كبيرا، وكلما زادت هذه الوسيلة كمية المعلومات ودرجة أهميتها ازداد اعتماد الجمهور عليها.
3- ترتبط كثافة علاقات الاعتماد للأفراد ايجابيا بادراكات التهديدات البيئية والاجتماعية، حيث يزادا الاعتماد على مصادر وسائل الإعلام في أوقات الصراع والتغير الاجتماعي، وفي المجتمعات ذات النظم الإعلامية النامية يزداد الاعتماد على وسائل الإعلام عند ازدياد حالات الصراع وعدم الاستقرار.
4- يزادا الاعتماد على وسائل الإعلام في حالة الغموض والالتباس، المتسبب من نقص المعلومات او عدم كفايتها أو وجود الصعوبة في التفسير الصحيح للأحداث.

5- الأفراد الذين يعتمدون على وسيلة محددة هم أكثر قدرة على استخلاص المعلومات من خلال تعرضهم للوسيلة.

6- تزادا درجة اعتماد الجمهور على النظام الإعلامي لإشباع احتياجاتهم، وتقل درجة الاعتماد عند توفر قنوات معلومات بديلة.

7- يحدث الاعتماد على وسائل الإعلام نتيجة السعي الى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية هي : الفهم التوجيه والتسلية.

8- الاعتماد على وسائل الإعلام يولد عددا من التأثيرات المعرفية والوجدانية والسلوكية المختلفة، وهي تمثل الاتجاهات المتباينة للتغير المعرفي والشعوري والسلوكي.

9- المشاهدون ذوو الاعتماد المرتفع أكثر انتباها وميلا لإقامة علاقات مع ضيوف البرامج المقدمة، وأكدت الدراسات لأن التأثير الإعلامية مثل الإقناع شبه الاجتماعي تزداد حينما يكون الاعتماد على وسائل الإعلام كثيفا.يعد النظام الإعلامي مهما للمجتمع وتزداد درجة اعتماد الجمهور عليه في حالة إشباعه لحاجاته.

10- تقل درجة الاعتماد على وسائل الإعلام في حالة وجود قنوات بديلة للحصول على المعلومات، وتزداد درجة اعتماد الجمهور على النظام الإعلامي برمته في حالة قلة قنوات الإعلام الأخرى.

رابعا: أنواع الاعتماد

يوجد نوعان من الاعتماد على وسائل الإعلام هما الاعتماد الفردي والاعتماد الاجتماعي، حيث يتم اعتماد كل من الفرد والمجتمع على المصادر الاتصالية لتحقيق الأهداف ومن هنا تبرز وسائل الاتصال لتزود الأفراد بهذه المعلومات.

أنواع التعرض في ضوء نظرية الاعتماد:

حدد كل من " **Ball Rokeach and Melven Defleur**" في عام 1989 التعرض لوسائل الإعلام في نمطين من التعرض والتي تساعد على تحقيق الأهداف وهما:

الاول: هؤلاء الجماهير الذين يختارون بشكل نشط وفعال، وهؤلاء يسعون بشكل عمدي لوسائل الإعلام التي تساعدهم على تحقيق الأهداف.

الثـــاني: هؤلاء الذين يتعرضون للوسيلة الاتصالية بالصدفة أو بشكل عرضين وهـــؤلاء يتعرضون بشكل ثانوي لمحتوى وسائل الإعلام، وقد تحفزهم الوسائل على الاعتماد على التعرض المستمر. وأشارت النظرية لوجود سببين يحكمان اعتماد الفـــرد علـــى وســـائل الإعلام هما الرغبة في تلبية الحاجات والرغبة في تحقيق الاستقرار الاجتماعي.

خامسا: أثار الاعتماد على وسائل الإعلام:

لقد انعكس مفهوم التبادل أيضا على اتجاهات التأثير، ووقف نظريـــة الاعتمـــاد لا يمكن رصد التأثير من الإعلام الى الفرد وحده، أو من الإعلام الى المجتمع وحـــــده، لان النظام الاجتماعي له تأثيرات على الأفراد والمجتمعات الفرعية والإعلام كمجتمع، ونقـــل المعلومات المكثف يتعامل مع الجمهور بنياته الاجتماعية، والتأثير المتوقع للإعلام علـــى الجمهور سيكون تأثيرا مرتدا لتغير المجتمع ووسائل الإعلام نفســـها، وتعتمـــد رســـائل الإعلام على الجمهور لتحقيق ثلاث حاجات أو تأثيرات : هي التأثر المعرفـــي، والتـــأثير الوجداني، والتأثير السلوكي، وحتى يعتمد الجمهور على وســـائل الإعلام لابـــد لوســـائل الإعلام من تحقيق حاجات فردية عامة مثل التسلية.

ويرصد كل من "ملفين وساندرا روكيتش" التأثير الذي ينتج عن اعتماد أفراد علـــى وسائل الإعلام من خلال المجالات أو التأثيرات الثلاث السالفة الذر: المعرفة، الوجدانية، والسلوكية.

سادسا: المميزات الخاصة بنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام

تتمتع نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام بمجموعة من المزايا أهمها:

- تعد نظرية الاعتماد نموذجا مفتوحا لمجموعة من التـــأثيرات المحتملـــة، وتجنـــب النموذج عدم وجود تأثيرات لوسائل الإعلام، ووجود تأثير غير محدود، لذلك يطلق عليها نظرية شاملة، حيث تقدم نظرية كلية للعلاقة بين الاتصال والرأي العام، وتتجنب الأســئلة البسيطة عما إذا كانت وسائل الاتصال لها تأثير كبير على المجتمع.
- تهتم نظرية الاعتماد بالظروف التاريخية والبناء الاجتماعي أكثر من المتغيـــرات الشخصية والفردية، لذلك فهي أكثر ملائمة في التعامل مع النظام الاجتماعي بصورة أكبر من النماذج الأخرى المرتبطة بوسائل الإعلام.
- تؤكد النظرية على أن تأثير وسائل الإعلام على الجمهور يؤدي الى التأثير علـــى النظام الاجتماعي وعلى نظام وسائل الإعلام نفسها، وبالتالي فان أداء وسائل الإعلام قـــد يؤدي الى المطالبة بالتغيير أو إصلاح نظام وسائل الإعلام، ســـواء مـــن خلال النظـــام السياسي او من خلال آلية السوق الحر أو من خلال ظهور وسائل إعلام بديلة.
- مقاييس الاعتماد أكثر أهمية من مقاييس الاستخدام العام وذلـــك بمجـــرد حســـاب المتغيرات الديموغرافية ودرجة الاهتمام، ومقاييس الاستخدام العام لا تقوم بمساهمة ذات دلالات معرفية.
- من فوائد النظرية على نظام وسائل الإعلام أننا نستطيع استخدام نفـــس المفـــاهيم الأساسية المنطبقة على العلاقات الكبيرة المجددة بين النظم لبحث العلاقات الأكثر تحديـــدا بين الأفراد ووسائل الإعلام الجماهيرية.

سابعا: بعض الانتقادات الموجهة لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام:

ومن أهم الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية نجد:

- افتقار النظرية للدليل الموضوعي المؤيد، والسبب يعود الى صعوبة إجراء دراسات على نطاق واسع تضم جميع المتغيرات الخاصة بالنظرية.

- لم تتعرض النظرية الى دور قنوات الاتصال الشخصي مثل الاتصال داخل الجماعة، والاتصال داخل المنظمات، بالرغم من تزايد أهمية ودور شبكات الاتصال الشخصي في تزويد الناس بالمعلومات.
- أن ارتكاز النظرية على خبرات مجتمع ذات خصوصية بنائية ووظيفية قد يفقدها قدرة التعميم على مجتمعات أخرى في البيئات الدولية.
- معظم الباحثين عرفوا الاعتماد إجرائيا بالتعرض، رغم أنه ليس كل من يتعرض لوسيلة يعتمد عليها، فعلى سبيل المثال قد يتعرض الفرد لفترة طويلة في مشاهدة التلفزيون في حين يعتمد على وسيلة أخرى مثل الصحف في اكتسابه للمعلومات الأساسية، او في موضوع ما.